بين نظام معاد لكل حركة جماهيرية وذي طبيعة رجعية استعمارية وبين المقاومة الفلسطينية المسلحة . هذه الخصوصية المتميزة في علاقة المقاومة بالنظام ، وطبيعة وتركيب ونشوء حركة المقاومة ، وعلاقتها بالانظمة العربية ودورها في رسم علاقة المقاومة بالنظام ، يواجهها صادق العظم وكما عودنا في سفره النقدي الطويل بوصفة جاهزة : « في مصطلحات العلم الثوري ان طبيعة النظام الملكي الرجعي معروفة جيدا والسؤال الذي يتجنبه حسام الخطيب هو « هل ان مثل هذا النظام قابل أصلا للتحييد والتجميد والتطويع » من قبل حركة تحرر وطني ثورية مسلحة تتناقض مصالحها وأهدافها بصورة جذرية مع مصالحه وأهدافه حتى في المدى القصير » (ص ٩٨) .

لا نريد هنا ان نناقش « حركة ثورية مسلحة تتناقض بصورة جذرية » بعد ان تحدث لنا العظم خلال مائة صفحة عن التصاقية المقاومة بأنظمة الهزيمة البرجوازية ، وكونها امتدادا مهزوما لها لا ندري كيف اصبحت تتناقض جذريا اذا كانت جزءا من الانظمة المهزومة .. بينما الانظمة المهزومة ليست في حالة تناقض مع النظام الاردني . ان ما يجب تأكيده هنا هو : ان حركة تطور الصراع وفصوله المتغيرة بتغير نسبة القوى ومواقعها وأهدافها ، حسب كل شوط وفصل في مسيرة الصراع ، وانهيار الانظمة وجيوشها وصعود المقاومة وعدم وجود تسوية في الافق هذه السمات طبعت الفصل الاول من الصراع ، وتكشفها كلمات ابو اياد : « اتينا النظام من فوق . ينتظر الملك عشرين يوما للمقابلة ، نضرب امامه الطاولة ، لم يمارس معنا أي اضطهاد ، » وفي الفصل الثاني بدأ التحول الذي طرأ على جميع عناصر اللوحة ، وعلى جميع مواقف القوى والفصائل : الموافقة على مشروع روجرز وصعود امكانات التسوية واعادة بناء الجيوش المهزومة وتماسكها وبالمقابل تركز ازدواج السلطة السياسية والعسكرية في الاردن ، وتحول حركة المقاومة الى حالة جماهيرية ثورية على امتداد المنطقة العربية ، هذه التغييرات هي التي حددت طبيعة واشكال المواجهة مع النظام الاردني والعدو الصهيوني وهي بالتالي قد أدت الى تغيير في الاهداف والاستراتيجيات الكفاحية بالنسبة لحركتي التحرر العربية والفلسطينية تجاه العدو الاسرائيلي وتجاه النظام الاردني . ان تلك التغييرات الجذرية التي حدثت بين هزيمة حزيران ومعركة أيلول ، وان كانت لا تلغي أهمية وجود استراتيجية ثابتة من النظام الملكي كعدو متحفز متراجع تراجعا مؤقتا ، ولا تغير من الطبيعة الرجعية للنظام الاردني كما تحدد ذلك « مصطلحات العلم الثوري » ولكن هذه الاستراتيجية الثابتة من النظام في الفترة بين حزيران ٦٧ وأيلول ٧٠ تفقد فاعليتها وديناميكيتها وصحتها اذا افتقدت الى الحلقات التكتيكية المرحلية الوسيطة والمتغيرة وحتى شعاراتها السريعة التغير حسب تغيير موازين القوى وتعيين الحلقات المركزية في معسكر الاعداء ، هذه الحلقات الوسيطة المتغيرة والشديدة الحساسية والاهمية لا تعني الدراسات النقدية التي تقدم مراحل وتصفي أخرى ، الا بصيغة سحرية عامة « عن مصطلحات العلم الثوري وطبيعة النظام المعروفة جيدا » !؟ لقد أصبح من الواضح الان ان تحليلات اليسار لعوامل هزيمة حزيران وطبيعة النظام الاردني ، ومسألة التناقضات الرئيسية والاساسية وتبدلاتها هي تحليلات صحيحة من حيث المبدأ كما أكد ذلك صادق العظم وهي حسب تعابيره « صائبة ومتقدمة وجذرية... وان اليسار قد بح صوته وهو يدعو لمواجهة الهجمة الرجعية » ولكنه لا يبحث لنا عن الاسباب العميقة التي جعلت برامج اليسار رغم صحتها النظرية عاجزة عن التحول الى ممارسة ثورية والى عدم تمكن اليسار من ان يصبح قوة ثورية فاعلة وحاسمة تتمكن من حسم الحلقة المركزية في الكفاح وتسقط النظام الملكي بمبادرة ومساهمة فعالتين ، هذه التساؤلات الجدية يختزلها العظم بأن اليسار « لم يحضر نفسه للمواجهة ، ولم ينصت للتحذيرات التي كان يطلقها هو نفسه » !؟